التهييج والتخويف

تطور وسائل الإعـلام جعل منها قوة يمكن أن تهيج الناس وتحشدهم، وأن تخوفهم وتدفعهـم للحرب والقتال، ثم يكتشف أن كل ما قيل كان مبالغات وصورًا تمّ (فبركتها) والهدف الدفع بالصراع في اتجاه معين.

د. نعـوم تشومسكـي[1] رجل لا يخـاف ولا يهاب ولا ينافق، وممـن يسمي الأشياء باسمها، يذكر أنه كان يطوف في الولايات المتحـدة الأمريكيـة – قبل حـرب الخليج الثانية – فـيرى تعبئة وتهيجًا لا مثيل لها، ويقول: إن أعظم وأقوى دولة في العالم كانت تخشـى مـن أن تأتي العراق، فتقتـل الناس جميعًـا، لقد صاروا مذعورين حقًّا، أراهم يرتجفون مرعوبين مرهقين؛ لأن (صدام حسـين) سيأتي ويقضـي عليهم، كانوا في خـوف حقيقي، بل في فزع شديد.

لقد كان القائد العسكري (شوارتكوف) يدلي بتصريحات عـن قلة عدد قواتنا، لكننا سنحارب، سنقاتل على الرغم من أن العراق يملك أسلحة فعالة فتاكة، لم يحلم بها أحد من قبل.

ومرة يكـون (الإيحاء): لا، لا ليس هنـاك حرب، فلما بدأ الهجوم الـبري كان الخراب الكبير، وبعـد أسبوعين من قصف

(١) تواريخ الانشقاق، ترجمة: محمد نجار، ص (٣١٣)، طبعة ١٩٩٧م.

لذلك العدو (المخيف ورابع جيش في العالم) انتهى، وتشتت، وضاع بسرعة.

إن الإدارة الأمريكية تعتقد أن من يريد الحرب فعليه أن يكبر (العدو) كثيرًا، كي يخيف الناس، بحيث يؤثر ذلك على نوع (التفكير) ويكون بسرعة، وكذلك القتال والانتهاء منه بسرعة.

تخويف وتكبير لحجم العدو، وإنزال ضربة قاصمة، ثم الحديث عن النصر السريع، بواسطة التخويف والإرعاب... ا.هـ.

والسؤال: أهذه الدولة التي تقود العالم وبهذه العقلية؟ إذن ما مات هتلر!

لقد جمعت كثيرًا من النصوص، ونشرتها تحت عنوان: (أمريكا والعراق عشق دائم أم طلاق بائن)[1].

أصعب الصراعات في العالم

آفي شلايم يهودي[2] من مواليد (بغداد) عام ١٩٤٥م، دكتور في العلاقات الدولية يحمل الجنسيتين البريطانية والإسرائيلية، يجيد اللغة العربية والإنجليزية والعبرية، يُعدّ من

(١) الكتاب نشر عام ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م، مكتبة العبيكان بالرياض.

(٢) التعريف بالكتاب وصاحبه قام به الكاتب حمد العيسى نشر المقالة في صحيفة الوطن السعودية ١٤٣١/٧/١٦هـ الموافق ٢٠١٠/٦/٢٨م.

المؤرخين الجدد، الذين لا يلتزمون الرواية الصهيونية الرسمية في النزاع العربي الإسرائيلي.

آخر كتبه: (إسرائيل وفلسطين: إعادة تقييمات، مراجعات، تفنيدات) صدر عام ٢٠٠٩م في بريطانيا عن دار (فيرسو للنشر) يصف الكاتب (الصراع) الإسرائيلي الفلسطيني بأنه من أصعب (الصراعات السياسية) منذ بدء الخليقة بسبب (مرارته وطوله وعنفه) ويبدو، وكأنه لا يوجد مجال (مطلقًا للتسوية) يرضى بها الطرفان.

الكتاب مجموعة مقالات وكتابات سياسية في القضية الفلسطينية خلال ربع قرن يمتد (زمنيًّا) ما بين حرب ١٩٤٨م حتى حرب غزة الأخيرة المتوحشة التي شنتها إسرائيل على غزة عام ٢٠٠٨م.

يعتقد الكاتب أن الماضي هو أفضل مرشد لفهم الحاضر، وتوقع المستقبل، وعلينا أن ندرك أنه عندما نملك (فهمًا جيدًا) للتاريخ (المعقد والمتوحش لهذا الصراع) نستطيع أن نستوعبه، ثم يمكن حله، وبموازاة الصراع السياسي الإسرائيلي الفلسطيني، يوجد (صراع) موازٍ بين (روايتين) مختلفتين للأحداث، وعندما نقرأ (بحياد كامل) الروايتين نستطيع تكوين صورة حقيقية عن خصوصية هذا (الصراع) الوجودي التراجيدي واحتمالات حله.

ثم يعرّف الكاتب بنفسه، فيقول: أنتمي إلى مجموعة صغيرة من العلماء الذين يلقبون أحيانًا بالمؤرخين المراجعين الإسرائيليين، وأحيانًا نوصف بالمؤرخين الجدد، لقبونا بذلك لأننا (تحدينا) الرواية الصهيونية السائدة عن أسباب ومسارع الصراع العربي الإسرائيلي، وبتحديد أكبر لقد تحدينا الخرافات الكثيرة التي أحاطت بولادة إسرائيل، والحرب العربية الإسرائيلية الأولى عام ١٩٤٨م... ... لقد تمسكنا بقوة باعتقادنا أن إسرائيل تتحمل المسؤولية الكبرى حول استمرار العنف وتصاعده، كثير من القضايا المختلفة سأناقشها في فصول (هذا الكتاب).

والمفيد للقارئ أن يعرف أن معظم ما سيأتي يتعلق بثلاث قضايا رئيسة:

١- ولادة إسرائيل عام ١٩٤٨م.
٢- حرب الأيام الستة عام ١٩٦٧م.
٣- اتفاقية أوسلو عام ١٩٩٣م.

وكل قضية من هذه القضايا هي موضوع نقاش ساخن، بل مشتعل بين المفكرين من كلا الطرفين.

بالنسبة إلى النقاش حول ١٩٤٨م أعتقد (بيقين تام وبكل صراحة) أن تكوين (إسرائيل) تخلله ظلم كبير وفظيع

للفلسطينيين، ولكن مع هذا أنا (أقبل) تمامًا شرعية دولة إسرائيل، ضمن حدود ما قبل حرب ١٩٦٧م.

خصومي يدعون أن هاتين (الجملتين) متناقضتان، فإن دولة أقيمت على الظلم لا يمكن أن تكون (شرعية)، ولكن ردي: نتيجة لتكوين إسرائيل، فقد تعرض الفلسطينيون للشتات ونزع ملكية أراضيهم التي شملت أكثر من (٧٠٠) ألف فلسطيني، وهو ما يعادل نصف السكان العرب الأصليين الذين أصبحوا لاجئين، كما تم مسح اسم فلسطين من الخارطة تمامًا؛ لذا فإن هذه النتيجة لتكوين إسرائيل قد أوجدت ليس مجرد ظلم طائفة وطنية ضخمة وكبيرة وعميقة أو كارثة، بل صدمة (النكبة) بالعربية... ا.هـ.

إن الصراع العربي الإسرائيلي فريد في التاريخ ولا مثيل له، شعب يقيم على أرضه منذ قرون، تقرر هيئة دولية نزعه وأخذ أرضه ومنحها إلى شعب آخر يقيم في دول عدة بحجة أن هذه أرض أجداده، ثم يقوم هذا الشعب بحملة إرهاب وقتل وطرد لم يسبق لها مثيل، وتتجدد الحرب ليس في فلسطين بل ضد الدول العربية المجاورة، وتتخذ مئات القرارات الدولية تتجاهلها إسرائيل كلها، بل لا يسمح بمجرد اللوم..

العراق رفض (١٧) قرارًا للأمم المتحدة، فوضع تحت البند السابع، وإسرائيل منذ قامت وإلى اليوم وهي ترفض القرارات كافة..

(أدوارد جاليانو) يسجل ظاهرة الخلل الكبرى في العالم، فيقول: لقد تجاهل العراق - على عهد صدام - (١٧) قرارًا من قرارات هيئة الأمم، وتجاهلت إسرائيل (٦٤) قرارًا، ثم تساءل: هل يقصف (بوش) حليفه الإسرائيلي؟

إن إسرائيل أكبر (مدلل) في العالم، والفيتو الأمريكي لم يعد يستعمل إلا لحماية إسرائيل من مجرد (اللوم)..

إنها الدولة الوحيدة التي تملك سلاحًا نوويًّا في المنطقة، ومع ذلك فالبحث والتهديد يشمل كل من لديه (نية) مجرد النية، لصنع سلاح نووي، فلماذا لا تتفرعن إسرائيل، ولماذا لا تشن الحروب؟ ومن أمن العقاب أساء الأدب!

ومع ذلك يشكر المؤرخ (آفي شلايم) المولود ببغداد على شجاعته وصراحته، خصوصًا أن الذين اختشوا ماتوا وشبعوا موتًا!

منطلقات الحضارة وصراعاتها

الحضارات تختلف، لكنها قد تشترك في منطلقات عامة، مثل[1]:

(١) القواعد الشرعية لإدارة الصراع ص (١٥) مرجع سابق.

١ - المنطلق العقدي، فخلف كل حضارة عقيدة.

٢ - البناء الاجتماعي والثقافي.

٣ - أسباب مادية لصياغة الحياة وتيسير العيش.

٤ - أنانية المصالح.

٥ - قوة أمنية عسكرية.

وكل حضارة تسعى لحفظ نفسها من العدوان، وبسط نفوذها حسب قوتها وطاقتها..

أما المحركات للامتدادات والتوسع فتختلف من حضارة لأخرى، لكن دافع العقيدة وقوة المصالح وأنانيتها هي الأبرز بين المحركات والقوة العسكرية أو الذراع العسكرية هي المعول عليه في التوسع والصراع، وتقوم هذه الذراع بالدفع عن الحضارة وأهلها ما استطاعت إلى ذلك سبيلًا.

وقد كانت الحضارات والدول والأمم تعنى بنظامها الاجتماعي وثقافتها الخاصة، وقديمًا كان يمكن غلق الحدود؛ منعًا للتأثيرات، ولكن التوسع في ميداني (المواصلات والاتصالات) هدم الحدود والسدود، لقد سجلت اليابان أكبر غلق مدة جاوزت قرنين ونصفًا منغلقة على نفسها، حتى جاءت القوى الغربية وهددتها بالاجتياح أو فتح الحدود.. لكن هذا الانغلاق أو الإغلاق صار اليوم في خبر كان كما يقال، فالانفتاح

صار واقعًا، مـا أدى إلى (اخـتراق) الخصوصيات الحضارية، والدفع للكل في اتجاه العولمة والتحديث.

إن كل حضـارة ومثلها ثقافتها تحاول الحفاظ على هويتها وعدم الذوبان أو الإضعـاف تحارب، والجديد أن هذا الميدان لا تنشط فيه القـوى العسكرية بل الإعلام بكل مكوناته، هذا النوع مـن (الصراع) ناعم وخفـي أحيانًا وليس كالصـراع (العقدي والمصلحـي) فهذا مـن النوع الخشن، وقد تراق فيـه الدماء، أو يضرب الحصار، حتى تصير الأمة أو الشعب في عداد المنبوذين الأشرار.

صاموئيـل هانتجتـون - صاحـب صـدام الحضـارات - يـرى[1]: أن صـدام الحضـارات يحـدث علـى مستويـين: فعلى المستـوى (الجزئـي) تتصـارع المجموعـات (المتجـاورة) على امتـداد (خطوط التقسيـم) بين الحضارات (بصـورة عنيفة) عـادة، للسيطـرة علـى أراضـي بعضهـا بعضًا، وعلـى المستوى (الكلـي) تتنافس دولة تنتمـي إلى حضارات مختلفة على القوى العسكريـة والاقتصادية النسبية، وتتصـارع على السيطرة على المؤسسات الدولية، وكل هذه الأطراف تتنافس على ترويج قيمها (الدينية والسياسية الخاصة)... ا.هـ.

(١) صدام الحضارات ص (٢٣) مرجع سابق.

إن الصـراع متعدد الأبعاد والأنواع، وتستعمل فيه أكثر من وسيلة مؤثرة..

يسجـل د. سامـي الـدلال ملاحظة، حيث (اختـزل بعض المفكريـن المسلمـين أسباب الصـراع في المعتقـدات فقط) دون النظـر للمصالح، وينقل عـن د. جعفر شيخ إدريس: أن الصراع بـين الحضارات إنما هو في جوهره صـراع بين معتقدات، لا بين طبقات ولا عرقيات[1]... ا.هـ.

مـن النادر اليـوم أن يكون الصراع فرديًّـا في دافعه، ففي الصـراع وخصوصًا الحضاري يتم حشـد أكثر من عامل يحقق كل طرف النصر في أسرع وقت، كذلك نلاحظ اشتعال الصراع بـين أبناء العقيـدة الواحـدة وأتباعها، بل المذهـب الواحد؛ لذا فالجزم بأن خلف الصراع عاملًا واحدًا يبدو صعب القبول...

العالم مهدد بصراعات كثيرة

د. نعـوم تشومسكـي الذي يوصف عـادة بالمعارض المزعج يقـرع الطبـول، وينـادي بأن العـالم يواجـه صراعـات وحروبًا غـير متناهيـة وجلّها سببه نظام الدولـة القومية الذي جعل من

(١) الإسـلام لعصرنا إصـدار المنتدى الإسلامي صـ (١٣٤) الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.

أوروبـا الأكثر (همجيـة ووحشية ودمويـة)[1]، وأن العالم مهدد (بالزوال)، فإما أن يكون هناك عالم بلا حروب أو لا يكون عالم إطلاقًـا، أو عـالم خاص بالبكتريـا والخنافس، فالبشر طوروا وسائـل تدميرهم بأنفسهم، وهم على وشك أن يستخدموها من قبـل نصف قرن، علاوة على ذلك فـإن قادة (العالم المتحضر) مستعـدون الآن لتعزيـز هذه الأخطـار وبوعي كامل لمـا يفعلون، فـإن كانـوا يقـرؤون (تقاريـر استخباراتهـم) والمحللين - بمن فيهـم أولئـك الذين يفضلـون السبـاق نحو الدمـار -، فإن من هـم أكثر تشاؤمًـا يرون أن الخطـط قد تم تطويرهـا وتنفيذها على نحـو يتوافق مع إطار (الفكر المسيطـر) والقيم التي تجعل (النجـاة) تمثل مكانًا متأخرًا في سلم الأولويات التي تتربع على (قمـة الهيمنة) كما يصرحون علنًـا... هناك اليوم حروب على (الماء والطاقة) أما المصادر الأخرى فليست بعيدة الاحتمال في المستقبـل، وفق نتائج قد تكـون (مدمـرة) في التحليل الواقعي؛ لذا يمكـن القول: إن الحروب لها علاقـة بتطبيق نظام (الدولة القوميـة) أي تلـك البنية الاجتماعية غـير الطبيعية التي يمكن إحداثهـا عـن طريـق (العنـف)، وهذا هـو السبب الـذي جعل (أوروبـا الأكـثر همجية ووحشية) مـن بين أمم العـالم (قرونًا عـدة)، فعندما كانـت تسيطر على العالم فقـد جرت محاولات

(١) مرافعـات ضد مجموعة الدول الثماني، مجموعـة من الكتاب ص (٥٠) طبعة ١٤٢٧هـ.

أوروبيـة لفرض نظام (الدولة القوميـة) في المناطق التي جرت السيطـرة عليها، وهي (مصدر معظم الصراعات) التي تحدث الآن أي عقب انهيار النظام (الاستعماري الرسمي).

إن رياضـة أوروبـا المفضلـة في (المذابـح المتبادلة) انتهت عـام ١٩٤٥م عندما أدركت الحقيقة التي تقول: إن المرة القادمة التـي ستمارس فيهـا (اللعبة) ستكون الأخـيرة، تنبؤ آخر يمكن أن (نقوم به بثقة عالية) هو: لن تكون هناك (حروب بين القوى الكـبرى)، والسبب يعـود إلى أنه إذا كان التنبـؤ خاطئًا فإنه لن يبقـى أحـد (يهتم بأخبارنـا).. علاوة على ذلك فـإن الأنشطة العامة التي تحدث داخل المجتمعات القوية والغنية كان لها تأثير عليهـا، إذ لم يعد بإمـكان المرجفين والمحركـين القيام (بغزو) أو اعتـداء طويل المدى - مثـل لما كانوا يفعلونـه سابقًا - عندما هاجمت أمريكا جنوب فيتنـام محولة إياها إلى (دمار) قبل أن تتطور المظاهرات الشعبية لوقف الحرب... ا.هـ.

إن إشعال الحروب وتدمـير الدول ليس بالأمر الصعب مع توافـر آلة الحـرب المدمرة، لكن الأصعـب والأهم هو كيف يتفق الأقوياء على ترك الحرب وإدارة (الصراع) بشكل سلمي؟

إن د. نعوم نذر نفسه لدق ناقوس الخطر، وهو يهاجم أمريكا وإسرائيل، ويعتقد أنهما يشكلان خطرًا على (سلم العالم).